دِرهم الخال عمارة



٨

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل

السلسلة التاريخية

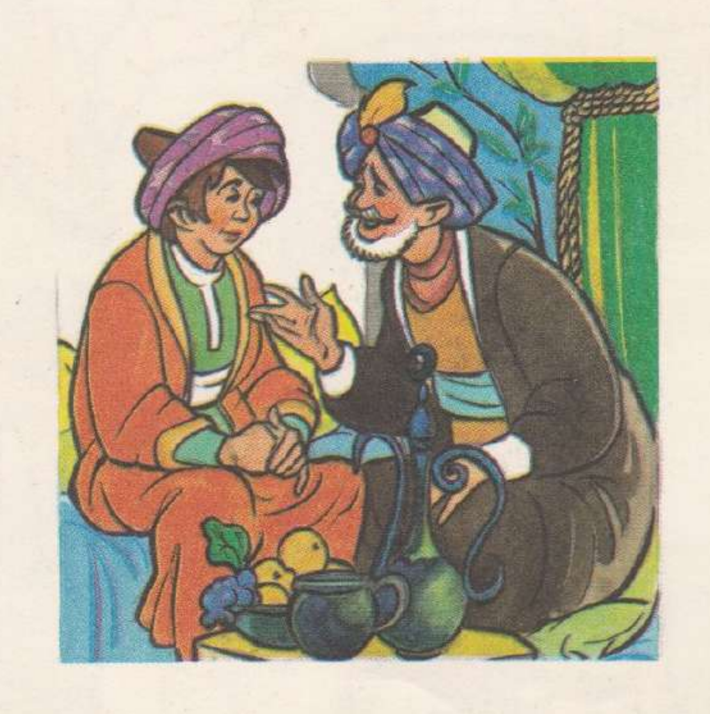
– مكتبة الطفل –
دائرة ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السلسلة التاريخية



دِرهم الخال عمارة

تأليف : فواز شعّار
رسوم : ضياء الحجار
تصميم : خليل الواسطي



امتدتْ يدُ الخالِ «عَمارة» بالدِّرهَمِ وهي ترتعشُ من المرضِ إلى ابنِ أخته الصبي عبدِالملك . فتناوله شاكراً ، داعياً الله لَهُ بالعافية .

وسَرعانَ ماعادَ عبدُ الملكِ إلى بيته المتواضعِ في الحيِّ القريبِ من السوقِ بالبصرةِ ، وهو مسرورٌ بالدِّرهمِ الذي تعوّدَ أن يأخذَهُ من خاله كلَّ يوم .



خرجَ عبدُ الملك من حُجْرَتهِ ، فرآهُ البَقّالُ (أبو عيسى) وقَدَّمَ لهُ رغيفاً من الخُبزِ وبعض الجُبْنِ الطريّ ، ولكنّ عبدَ الملك قال له : لا أريدُ شراءَ طعامٍ هذا اليومَ .

ثم تابعَ سيرهُ إلى سوقِ الورّاقين بالبصرة وهو السوقُ الخاصُّ بالكُتبِ والدفاترِ والأقلام . فاكترى بالدرهمِ كتاباً سميكاً ، وعادَ به مسروراً الى حُجرته ، ولزمه طولَ النهار ، وقِسْطاً من الليل .



وفي اليومِ التالي ، ذهبَ عبدُ الملكِ إلى خالِهِ فعادَ بالدرهمِ ، وتوجه إلى دُكّان البَقّالِ فدفعَ له الدرهمَ واشترى به خبزاً وجبناً وبعضَ الزيتِ .

تَعَجَّبَ البقال ممّا فعلَهُ عبدُ الملك ، وسأله لماذا امتنعَ بالأمس عن شراءِ الطعام .

فقال عبد الملك :

– درهمُ خالي (عمارة) أُنْفِقُهُ يوماً للطعام ، ويوماً لاكتراءِ الكتبِ من الورّاقِ ، فازداد عَجَبُ البقالِ من هذا الصّبيِ ، الذي يأكلُ يوماً ويجوع يوماً من أجل أن يتعلَّمَ .





ثابَرَ عبدُ الملك على طَلَبِ العلم ، باكتراءِ الكُتُبِ وقراءتِها ، وبحضورِ حلَقاتِ العِلمِ في البصرة التي يُدرِّسُ فيها المعلمونَ طُلاَّبَ العِلْمِ ، وكانت هذه الحلقاتُ كالمدارسِ في عصرِنا الحاضر . بينما كانَ البقالُ يزدادُ عَجَباً من ثباتِ عبدِ الملك ، وصبرِهِ على الجوعِ والفقرِ في سبيلِ العلمِ .

خرجَ عبدُ الملك كعادَتهِ في أحدِ الايام ، حاملاً كُتبَهُ ، مُتوجّهاً إلى دروسِهِ ، فخاطبه البقالُ ، وقد رأى اعتلالَ صحته :

– إنكَ تُجْهِدُ نَفْسَكَ في القراءةِ ، وتُنفقُ دَراهمكَ في اكتراءِ الكتب ، وتَحرِمُ نفسَك من الغِذاءِ ، فلماذا لاتتركُ هذا العَناءَ ، وتترفّهُ بدراهِمك ؟





لم يوافقْ عبدُ الملك جارَه البقالَ على رأيه ، وتابعَ طريقَه إلى طلبِ العلمِ .
وفي المساءِ . عادَ حزيناً كاسِفَ البال . فلمّا رآهُ البَقّالُ سألهُ عن سببِ حُزنه فقال عبدالملك :

– ماتَ خالي يا أبا عيسى . ماتَ يرحمه الله .

فهزّ البقال رأسَهُ وقال – ساخراً – :

– يرحمُ اللهُ خالَكَ . . و . . ويرحَمُ الدرهمَ .



ذاتَ يومٍ . .

عادَ عبدُ الملكِ من دروسِهِ وهو يحملُ بعضَ الكتبِ ، فرآه البقّالُ وخاطبَه ساخراً :

– ياعبدَ الملكِ . أترى لو أعطيتَني كُتُبَكَ هذه ، أَضَعُها في خابيةٍ ، وأَصُبُّ عليها الماءَ فتصيرُ خلاً . أليسَ هذا خيراً لك من حَمْلِها غادياً رائحاً في الصباح والمساءِ ؟

تأثّرَ عبدُ الملك بسببِ سُخْرِيةِ البقالِ مِنْ كُتُبِهِ وسَعْيِهِ في طَلَبِ العلم ، ولكنه تمالَكَ نفسَه وقال :

– هذه الكتبُ عندي يا أبا عيسى هي خير مافي الدنيا .

فضحكَ أبو عيسى – وهو يتمادى في سخريته – وقال :

– لو أعطيتَني كتَبك كلَّها ، وسألتني بدلاً عنها تمرةً من دكاني . لما أعطيتُك .

إذن لادِرْهَمَ – بعدَ اليوم – في كلِّ يوم . . .
أصبحَ عبدُ الملك بلا مُعينٍ . فاستغلَّ البقالُ
ذلكَ وأعادَ عليه الدعوةَ لِتركِ العلمِ .

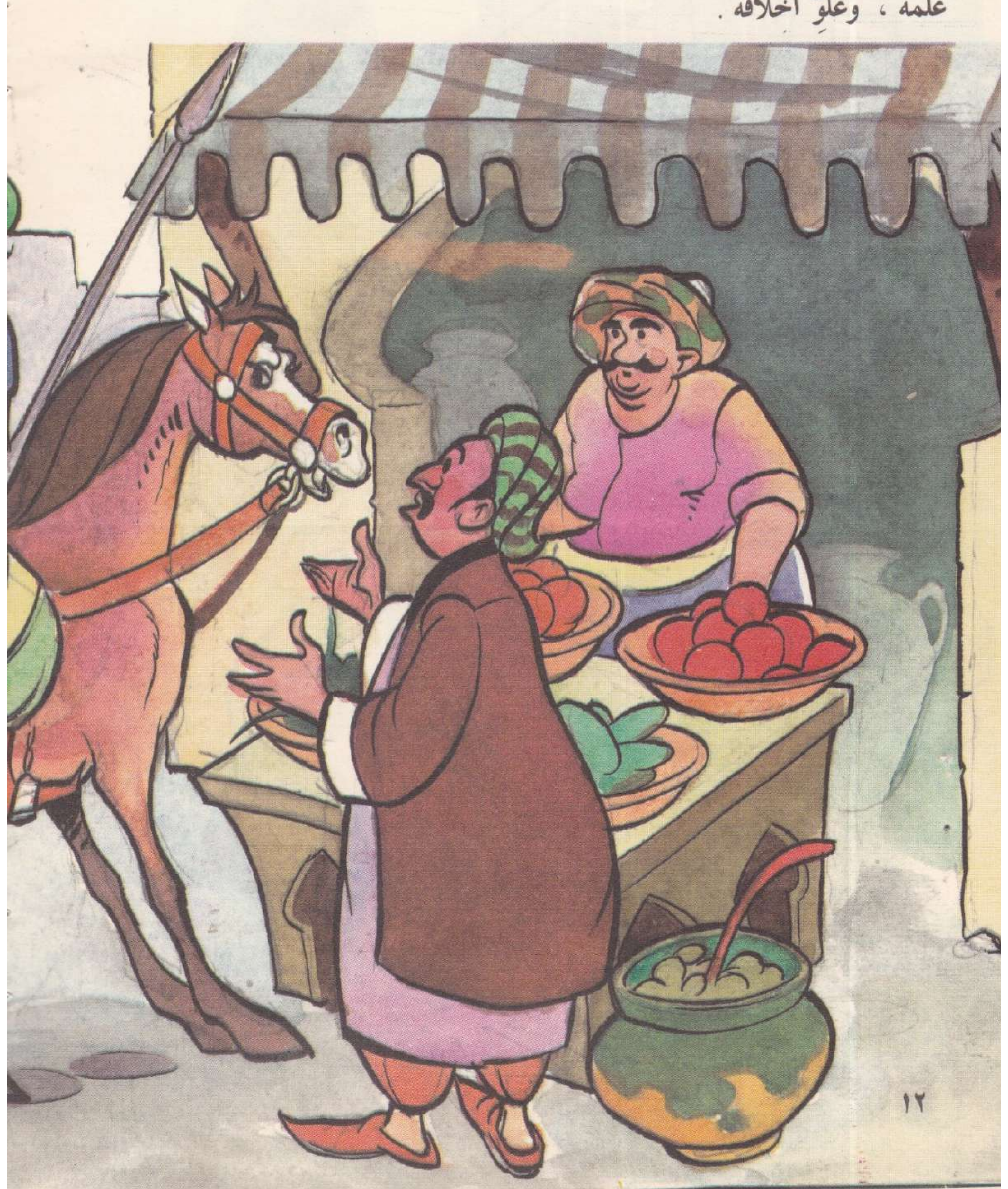


لكنَّ عبدَ الملك صَمَّمَ على مُواصَلَةِ طريقهِ مهما واجهَ من صعوباتٍ . فصار يستعينُ على مَعَاشه بالعملِ ، حتى استطاعَ أن يعلوَ درجاتٍ في التحصيلِ العلمي .

أما أبو عيسى البقالُ ، فصار يَسْخَرُ من عبد الملك كُلَّما رآهُ ، لأنه لم يستجبْ لإغراءاتهِ بتركِ العلمِ .

قضى عبد الملك ليلَته حزيناً ، يفكر في سخريةِ البقالِ منه . لكنه وَجَدَ أنَّ ذلك لايثني من عزمهِ مادامَ على صوابٍ . فطريقُ العِلْمِ هو السبيلُ الى الرِفعةِ مما هو فيه .

وفي الصباحِ غدا إلى دروسِهِ وتحصيلِه . ثم ثابَرَ على ذلك يوماً بعدَ يومٍ . وشهراً بعدَ شهرٍ . وسنةً بعدَ سنةٍ . حتى عُرِفَ بين زملائِهِ ومعلّميه وعند ذوي الشأنِ والعلماءِ ، بِسِعَةِ علمه ، وعُلُوِّ أخلاقه .



ذاتَ يومٍ ، رأى البقالُ جنودَ والي البصرةِ ، مقبلينَ ، يسألونَ عن شابٍ من أهلِ الحي ، وكم كانت دهشتُه كبيرةً ، عندما علم أنهم يسألون عن عبدِ الملك ، وظنَّ أنهم جاءوا يريدونه لدَيْنٍ عليه ، أو لجِنايةٍ ارتكَبَهَا .



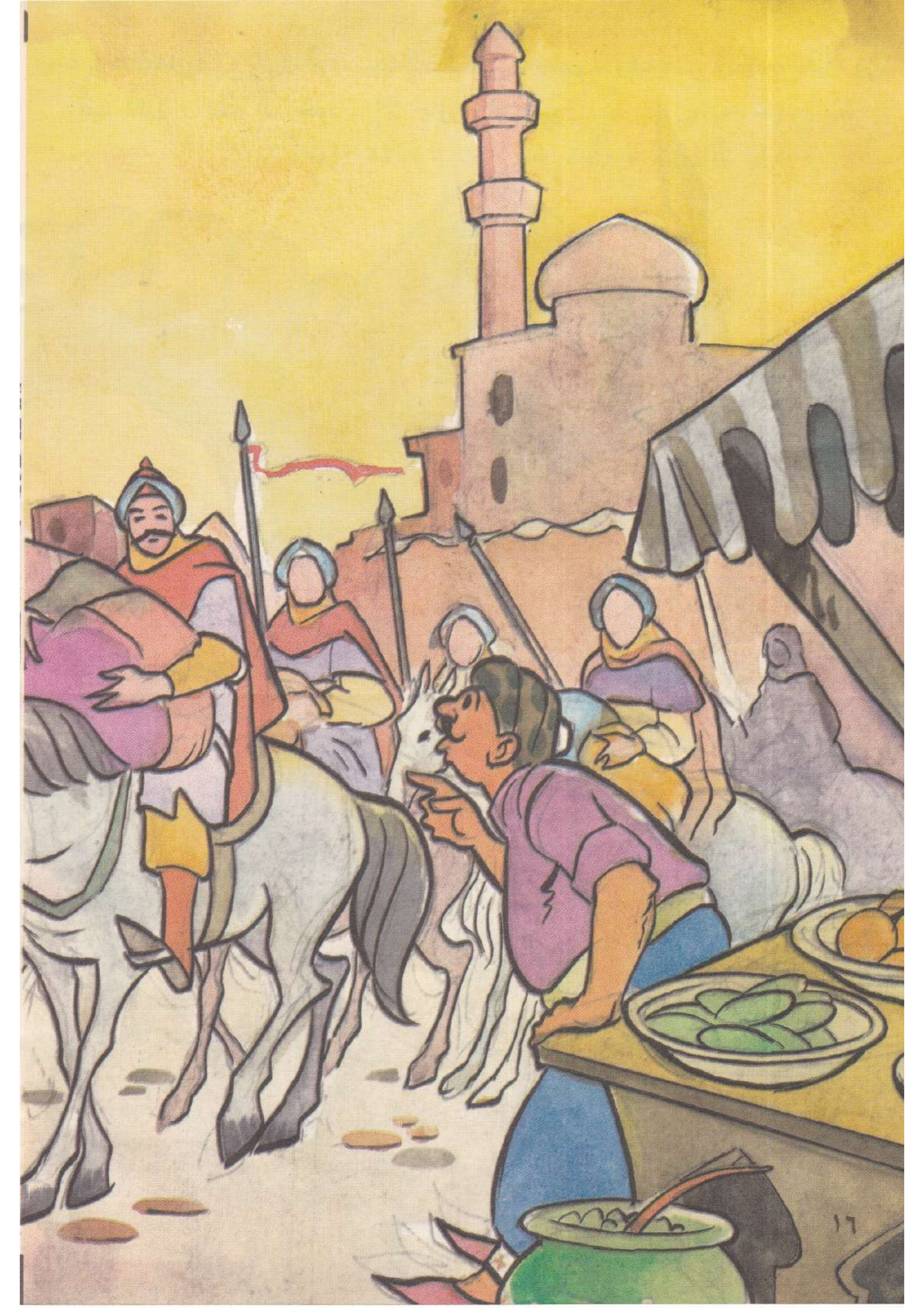
عرف الجنوُد بيتَ عبدِ الملك ، وطلبوا أن يحضرَ معهم لمقابلةِ الوالي ، لكنَّ عبدَ الملك قال لهم – وقد استحى من ثوبه المُرَقَّعِ – :

– قولوا للوالي : (لو رأيتَ عبدَ الملك لما سَرَّتْكَ رؤيَته) .



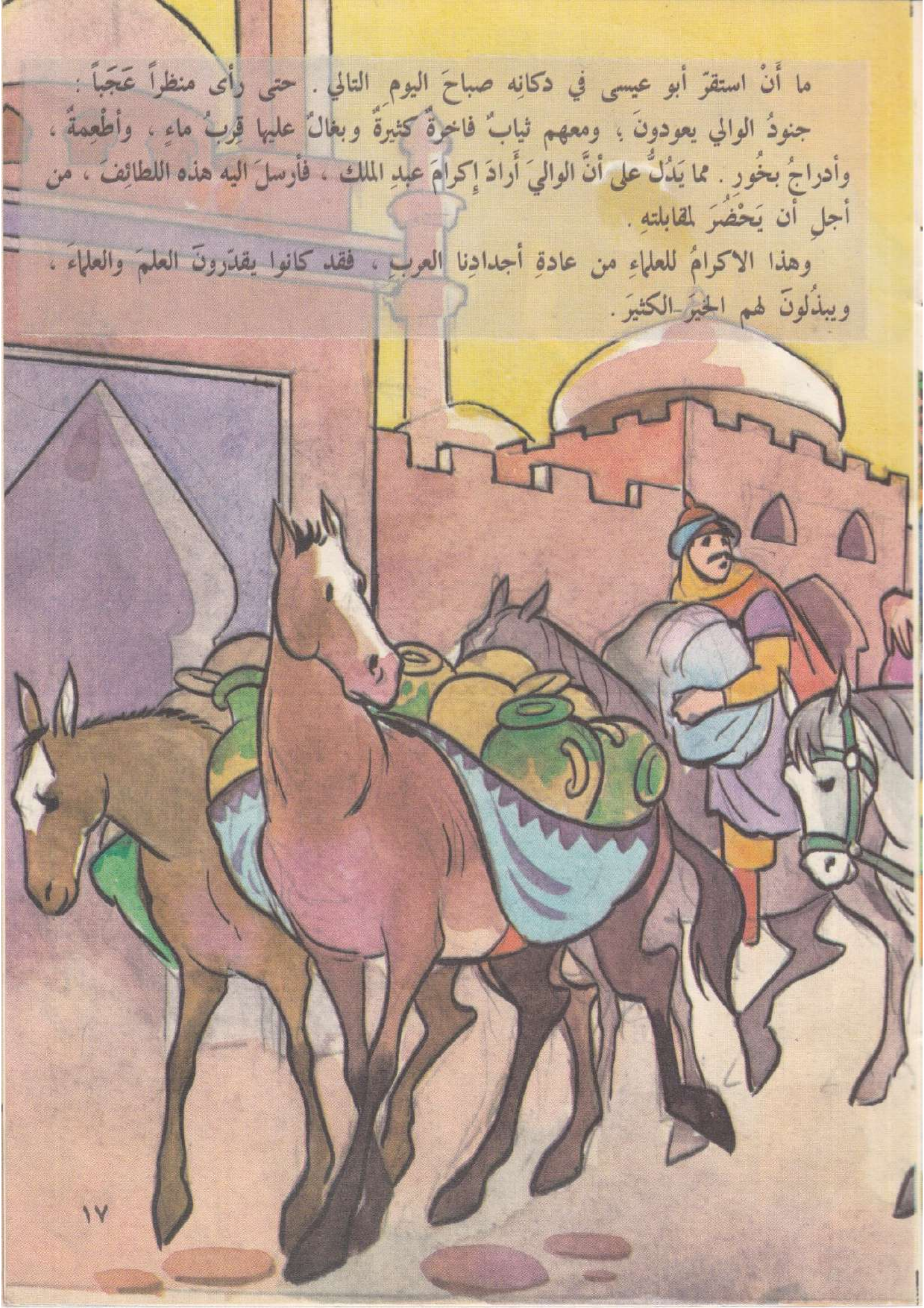
عاد الجنود من حيث أَتَوا ، بينما كان البقالُ يلاحِظُهم ، وهو يُضْمِرُ في نفسِه الشماتةَ من عبدِ الملك ، لظنّهِ أنَّ الجنودَ ، إنما جاؤوا لأمرٍ سيّءٍ.





ما أَنْ استقرّ أبو عيسى في دكانِه صباحَ اليومِ التالي . حتى رأى منظراً عَجَباً : جنودُ الوالي يعودونَ ، ومعهم ثيابٌ فاخرةٌ كثيرةٌ وبغالٌ عليها قِربُ ماءٍ ، وأطْعِمةٌ ، وأدراجُ بخُورٍ . مما يَدُلُّ على أنَّ الواليَ أَرادَ إكرامَ عبدِ الملك ، فأرسلَ اليه هذه اللطائِفَ ، من أجلِ أن يَحْضُرَ لمقابلته .

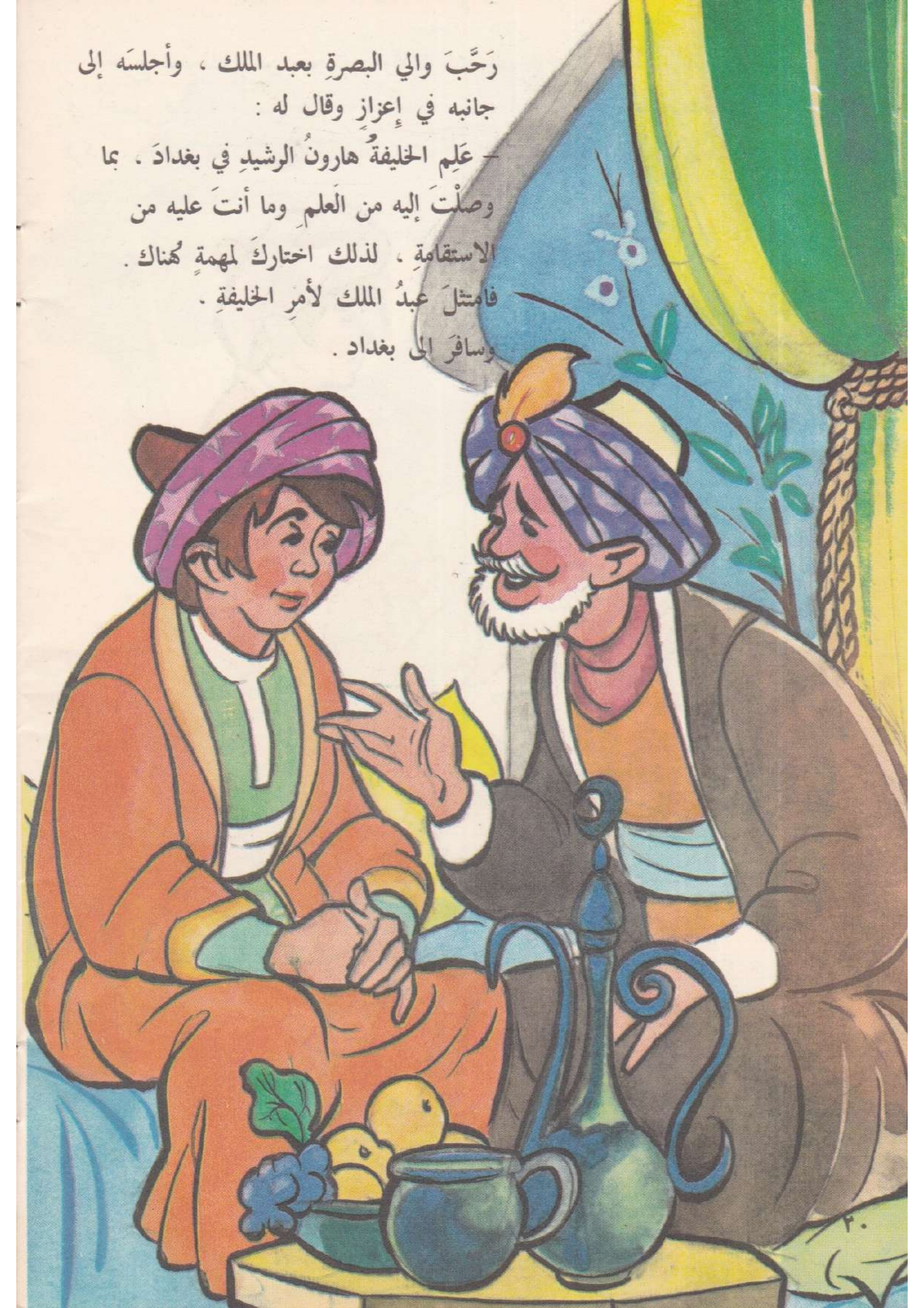
وهذا الاكرامُ للعلماءِ من عادةِ أجدادِنا العربِ ، فقد كانوا يقدّرونَ العلمَ والعلماءَ ، ويبذُلونَ لهم الخيرَ الكثيرَ .





خرجَ عبدُ الملك من حُجرتهِ ، وقد ارتدى ثياباً فاخرةً ، وتطيَّبَ بالعطرِ والبَخُور ، فبدا في أجملِ صورةٍ وأبهى هيئة ، وسَرعانَ ماقَدَّمَ اليه أحدُ الجنودِ حِصاناً جميلاً مُسْرَجاً ، فركِبهُ ، ومضى لمقابلةِ الوالي في موكبٍ بديعٍ ، بينما كان البقالُ يكاد لايُصَدِّقُ مايرى من فَرْطِ الدهشةِ والعَجَبِ .





رَحَّبَ والي البصرةِ بعبد الملك ، وأجلسَه إلى جانبه في إعزازٍ وقال له :

– عَلِمَ الخليفةُ هارونُ الرشيدِ في بغدادَ . بما وصلْتَ إليه من العلمِ وما أنتَ عليه من الاستقامةِ ، لذلك اختاركَ لمهمةٍ هُناك .

فامتثلَ عبدُ الملك لأمرِ الخليفةِ .

وسافرَ الى بغداد .

كان لقاءُ الرشيد بعبد الملك ، معبّراً عن مكانَتهِ العلميّةِ ، والعربُ يقدّرون العلمَ والعلماءَ . ثم كلَّفَ الرشيدُ عبدَ الملك بمهمةِ التعليم ، وأجرى عليه راتباً شهرياً يليقُ بأمثالهِ من العلماءِ .

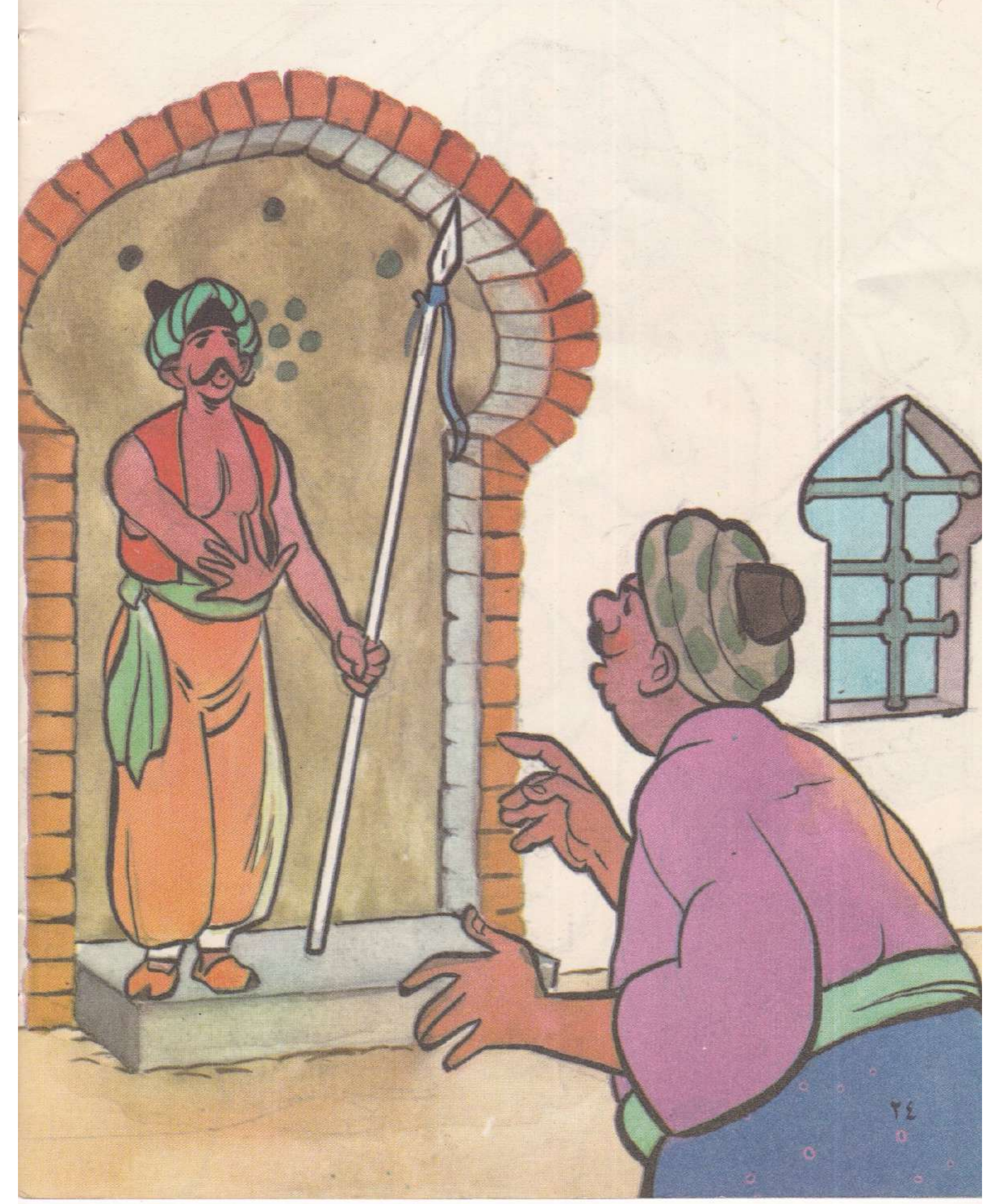
قامَ عبدُ الملك بالمهمةِ التعليميّةِ خيرَ قيامٍ . فاكتَسَبَ بذلك ثقةَ الناسِ فيه ، وصارَ يُجالِسُ العلماءَ ، ويؤلفُ الكتبَ ، مُواصلاً طريقَ العلمِ والمعرفةِ ، الذي أحبَّه منذُ صِغَرِه .







اشتاقَ عبدُ الملك إلى بلدهِ الأولِ (البصرة) فأحبَّ أن يزورَها ، فرحلَ إليها ، واشترى منزلاً حَسَناً ، وعَلِمَ الناسُ بوجوده فتوافَدُوا للسلام عليه . وكان ممن سمع بذلك البقال أبو عيسى ، فأسرَع للسلام على عبد الملك ، ولكنَّ حارسَ المنزلِ منَعه .

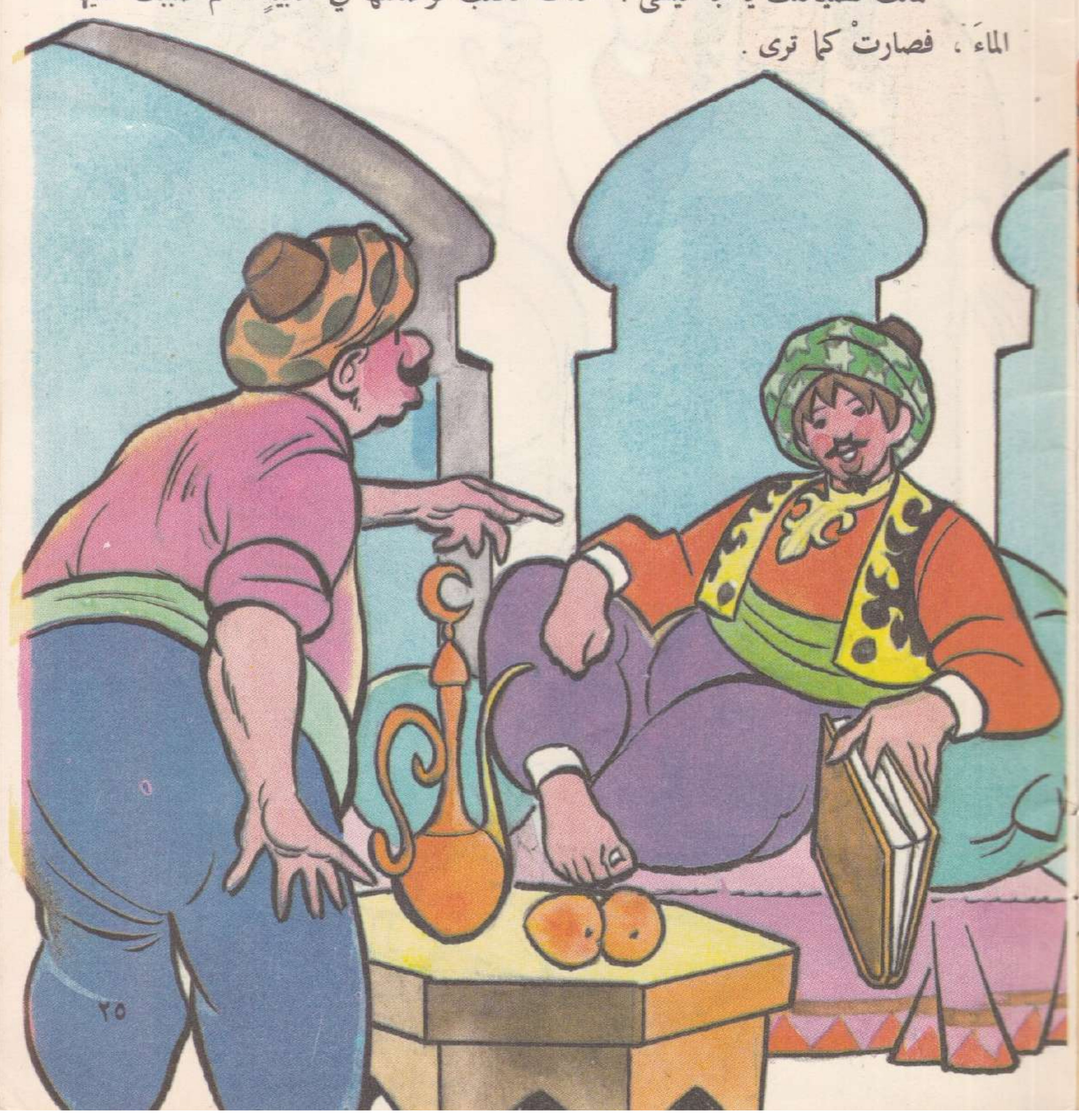


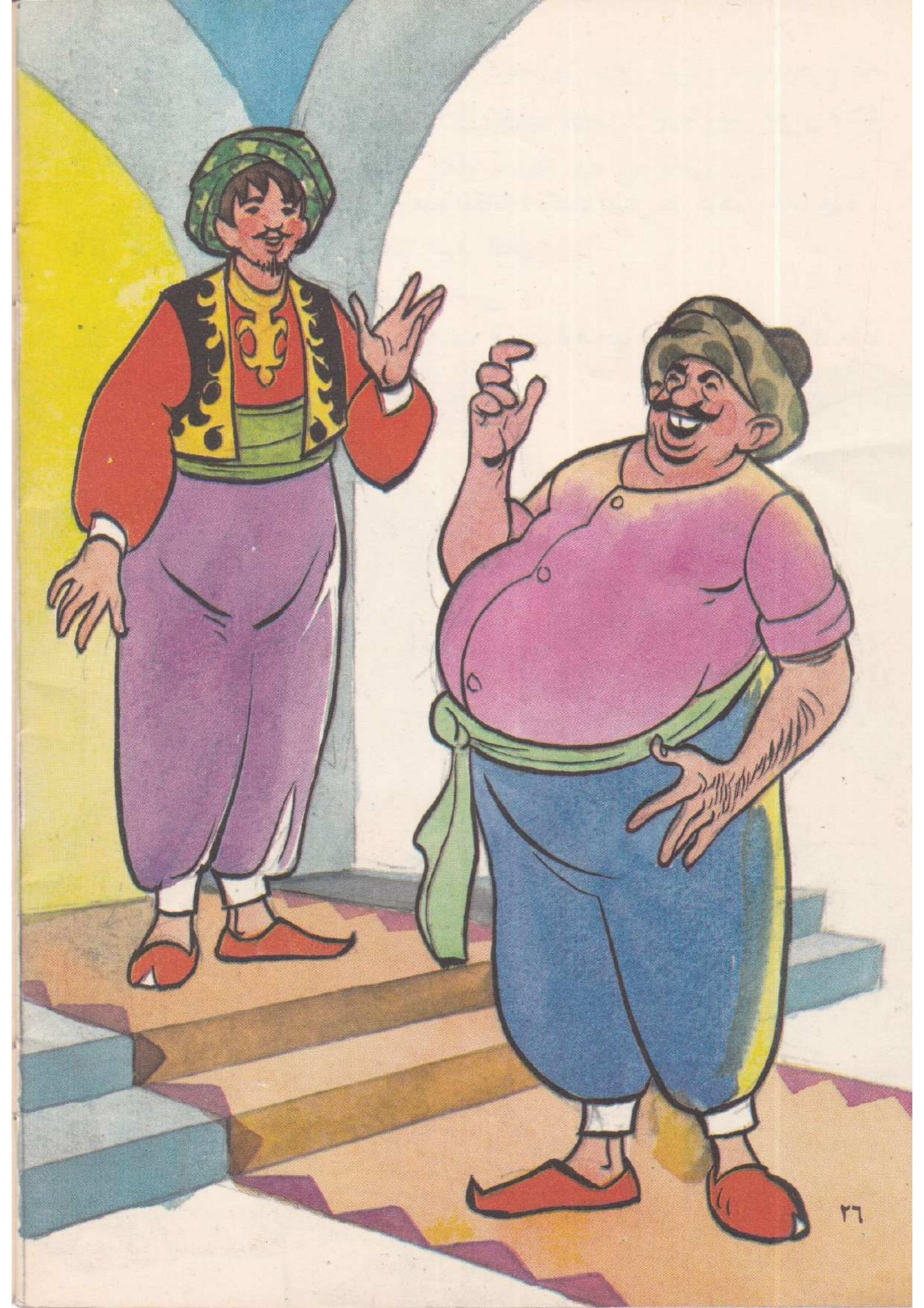
فأخذَ البقالُ يصيحُ وينادي عبدَ الملك ، فسمعه من داخلِ المنزل ، فَعَرَفَهُ وخرجَ إليه مبتسماً مُرحِّباً ، فسلّم عليه أبو عيسى ، ودخلَ معه إلى المنزل ، وأَكْبَرَ ما وَصَلَ إليه من مكانةٍ في نفوسِ الناس فسأله :

– ياعبدَ الملك . كيف وصلتَ إلى هذه المكانةِ ، وكنتَ تعيشُ على دِرْهَمِ الخال عمارة ، تأكُلُ به يوماً ، وتكتري كتباً بدرهمِ اليومِ الثاني ؟

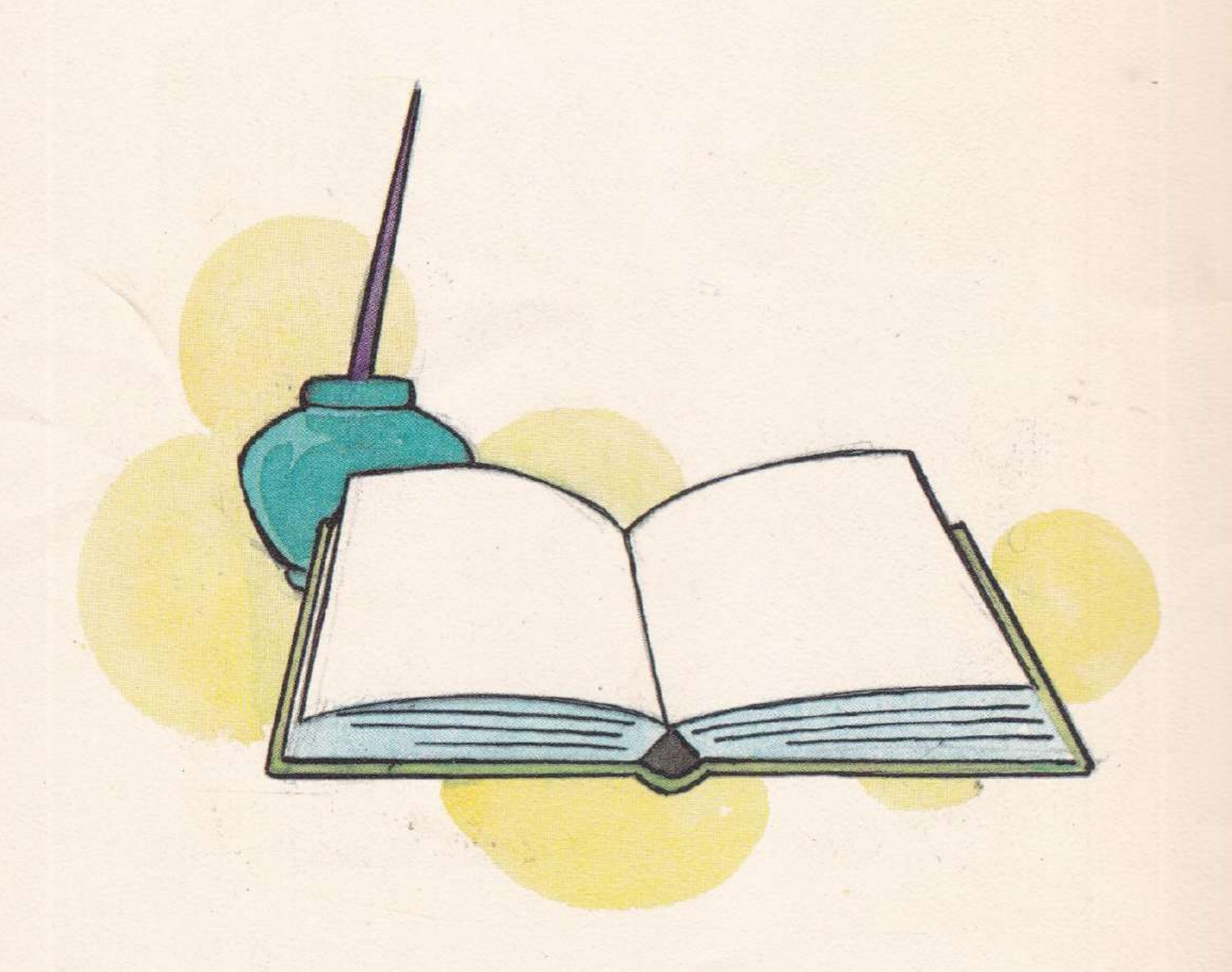
فأجابَ عبدُ الملك وهو يداعِبُ أبا عيسى :

– سمعتُ نصيحَتكَ يا أبا عيسى . أخذتُ الكتبَ فوضعتُها في خابيةٍ ، ثم صَبَبْتُ عليها الماءَ ، فصارتْ كما ترى .





ضحك أبو عيسى البقالُ ، وقد أدركَ مايرمي اليه عبدُ الملك من دُعابةٍ ، ومايُعاتبه على ما أسلفَ من سُخريةٍ ، كما فَهِمَ أنَّ العلمَ والمواظبةَ في طلبه يتيحان للانسان أن يُبْدِعَ ، وأن يعملَ لفائدةِ الجماهيرِ ، فلا تنسى له الجماهيرُ ماقَدَّمَ اليها من عطاءٍ إنسانيّ .



والآنَ يا قارئي الصغير ، هل تعلمُ مَنْ هو (عبدُ الملك) الذي كان يجوعُ من أجل أن يتعلَّمَ ؟

إنه العالِمُ الجليلُ . عبدُ الملك بنُ قُرَيْبْ . . المعروفُ بالأَصْمَعِيّ .

ثمن النسخة : ٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها

الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دائرة ثقافة الأطفال – مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الأطفال . . ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

طبع دار الحرية للطباعة ـ توزيع الدار الوطنية